العانس (*)

مسرحية من الخيال اللاعلمي

(*) نشرت في مجلة ((الق)) العدد- ٣- حزيران ١ ٢

الشخصيات

- العانس
- العجوز
- الخادم
- خادمان
- طوابير - رجال ونساء - شباب وشابات - اعمار متباينة
- المواطن
- المدير
- الرجل
- المخبر
- الشابة
- الرجل الملتحي
- اخرون

[تفترض هذه المسرحية او بالأحرى، تختلق واقعاً خرافيا- هل ثمة تناقض بين الكلمتين؟.. لا بأس فهو مقصود- خارج الزمان والمكان، كل الازمنة والامكنة. وخارج التاريخ أيضا من ليلة ميلاده حتى نهار وفاته.

لذا ترجو قراءها ومشاهديها ان تهيأ ان يكون لها قراء ومشاهدون ان يخنقوا اجنة كل الأسئلة الفضولية، التي قد تتشكل في وجدانهم من قبيل.. اهذا الواقع الخرافي موجود اليوم؟ او.. هل كان له وجود بالامس؟ او هل يمكن ان يوجد في الغد؟

ذلك لان المسرحية لا تجرؤ على الاجابة، مخافة ان ينهض الحاضر ممتشقا سيف الماضي البتار بيساره وقنبلة المستقبل الفتاكة بيمينه.. ويثار، بطريقة متخلفة او عصرانية جدا. متوهما ان الامر، قد.. يعنيه].

* * *

(في عمق المسرح، على الجانب الايمن، مكتب تشغله عانس عجفاء. الى جانبها شباك مسدل الستائر تفتح بين حين واخر، يبرز وجه سيدة عجوز ترقب ما يجري باهتمام. وتختفي قبلما يتمكن احد من تبين ملامحها بوضوح.. يواجه النظارة حائط خشن اسود. على الجانب الايسر. باب بضلفتين.. يقف امامه من الداخل خادم يفتحه بين اونه واخرى، لنرى في الخارج اناسا يتجمعون. خادمان

يقومان بملء الفراغ امام مكتب العانس بمقاعد خشبية صغيرة من النــوع الــذي يستخدم في مدارس ورياض الاطفال.).

* * *

الخادم: (يسد الباب ويتوجه نحو العانس) اما حان الوقــت يــا آنســة (العــانس مشغولة بوضع المزيد من المساحيق وتصفيف شعرها، لا تجيـــب) لقــد خارت قواي (يتهالك على مقعد بقربها) ترى باي حـــال غــدوا؟ (يشــير بحنكه الى الخارج)

العانس: (دون ان ترفع عينها عن المرآة) بالحال التي يريدهــم ان يغــدوا (اشارة إلى الخلف).

الخادم: خمس ساعات من الوقوف تحت نيران الشمس، تطبــخ الحديــد (يعصــر رجليه) أي صبر يملكون! كأنهم احفاد ايوب (الخادمان ينــــهيان ترتيــب الكراسي، يقفان على جانبي الباب، العانس تخفي ادوات زينتها، تعطيــهما اشارة خاصة. يفتحان الباب. يتدافــع النــاس الــى الداخــل متعبيــن، منهوكين..)

العانس: النظام يا اخوان النظام (ردود أفعال متباينة مـــن النـــاس إزاء المقــاعد الصغيرة. بعضهم وقد نال منهم التعب، يتساقطون فوقها يحشرون فيـــها أجسامهم بصعوبة، اخرون يقفون حائرين، خائري القوى)

الخادم: (ناهضا) جلوسا يا سادتي.. جلوسا.. الكل جلوس.

ـ: بعد كل هذا الانتظار الذي يهد الجبل.. و.. هذه المقاعد العجيبة.

ـ: يتساوى عندي، ريش النعام ورؤوس الصخور المدببة (يرتمـــي علــى احــد المقاعد) اجلس.. يا اخي.. اجلس.. ارح جسمك.

ـ: كيف اجلس واكبر المقاعد لا يتسع لنصفي، افضل ان ابقى واقفا.

ـ: ولكنك تحجز عنا الهواء ايها السيد.

ـ: الهواء؟ اين الهواء في هذا الفرن الذي يشوي العظام؟

ـ: والشمس، الشمس اللعينة لم تكن قط بهذه القسوة، ماذا دهاها هي الاخـــرى..

آه.. آه.. اشعر بجسدي يلتهب (يمسح عرقه المتصبب)..

هواء، هواء.. قليلا من اللهواء انا.. اختنق.. ساعدوني آه..

الخادمان: (معا، بغلظة) هش.. هش.. (يشرعان بتوزيع اوراق مطبوعة عليهم)

هش؟ تحشروننا في قبر من حديد؟ وتصرخون بنا هش هش لا. لا. ان هـذا لا يطاق. واني كمواطن ارفض ان تعـــاملوني بـــهذه الطريقـــة المهينـــة..

(يخرج. العانس تعطي اشارة للخادم، فيخرج هذا أثره)

هواء.. هــ هــ و.. اء.. هــ هــ اء..

آه لقد اغمي عليه، فعلا.. افعلوا شيئا من اجله.. من اجلنا جميعا.. آه.. اننـــا نختنق يا ناس (العانس تشير الى احد الخادمين فيفتح جهاز التبريد)

ـ: الله..! الله..! لقد عادت الي! الروح...

ـ: عادت اليك ولكنها ستغيب عني.. مع هيجان الام المفاصل واوجاعها. (الحائط الاسود يهتز. العانس تقف على قدميها الخادمان يستعدان)

الخادمان: (معا) وقوفا ايها السادة. وقوفا (يقف بعضهم، نصف وقفـــة) (الحـــائط يرتفع الى الاعلى يختفي في السقف من عمـــق المســـرح تندفـــع كتلـــة سوداء، نحو الجمهور، تتوقف عنـــد مكتـــب العـــانس، تتســـلط عليـــها الاضواء).

العانس: (معلنة) سيادة المدير. سيادة مدير المشروع، المشروع الامل. المشـــووع الحلم المشروع المعجزة (تصفيق حـــاد يعقبـــها الخادمـــان. ثـــم بعـــض

الحاضرين).

المدير: عفوا.. انستي عفوا سادتي.. لست من هـواة الكـلام.. ولا مـن الذيـن يغريهم. فانا رجل عملي. والعمل هو كلامي. هو لساني المعـبر عنـي. سادتي.. احبتي.. استغلالا للوقت، بعيدا عن نـثر الامـال وزرع بـذور الوعود، دعوني اقتحم.. الموضوع مباشرة واقل لكم انه قد تقـرر فـي لجنة احياء التراث التي كان لشخصنا المتواضع فضـل المبـادرة الـى تشكيلها والعمل على تطويرها لتشمل احتضان الفكـر الوليـد والابـداع الحدث في مناخ ديمقراطي يفجر طاقات الانسان ومواهبه الخلاقة. فالفكر الذي يولد اليوم، هو تراث الغد. وبدونه لن يكون ثمة (تراث) واذ كـانت الامة التي تهمل ماضيها امة بلا حاضر. فان الامة التي تهمل حاضرهـا ستصبح امة بلا مستقبل. فالحاضر ايها السادة، هـو مصب المـاضي وينبوع المستقبل واذا كان الماضي اباءنا واجدادنا والمستقبل هو ابناؤنـا واحفادنا فالحاضر هو نحن. انا وانتم ونحن يجـب ان لا نكـون اسـرى الماضي.. بنفس القدر الذي لا ينبغي لنا ان نكون ضحايا المستقبل. وانما ان نكون حاضرنا. ان نمتلىء بحاضرنا ويمتلىء بنـا حاضرنـا. ورقـة العمل التي بين ايديكم توضح افكاري الجديدة مما يغني عن هدر المزيـد من الوقت الثمين الذي ينبغي ان يكرس للعمل وختاما.. نحـن بأنتظـار ابداعاتكم السابقة واللاحقة وستجد فينا احضان الام الرؤوم ورعايـة الاب الحنون تنمو وتشب في اروع مناخ انساني وتسير بخطى ثابتة وهامـات شامخة، طارقة ابواب المستقبل.. بعد تربعها على عرش الحاضر فـالى العمل.. اخوتي.. الى العمل.. (تصفيق حاد ينسحب بنفس الطريقة التـي دخل ويهبط الحائط ثانية).

ماذا جرى.؟.. و.. وماذا هناك؟

_تسألني انا؟ لقد كنت نائما مثلك.. ولم افقه شيئا.

الخادم: (عائدا يقترب من العانس) لم اعثر عليه.. ضاع بين الناس. انــدس بيــن جمهرة كبيرة من الناس.. و.. وضاع..

العانس: آه..

* * *

(طابور من الرجال والنساء في أعمار مختلفة بأزياء متباينــة يحملــون حقائب ودويسهات، مليئة بالأوراق والمخطوطات والكتب.. يسلمونها للعــانس... التي تسلمتها منهم لقاء وصولات وصكوك ثم يحملها الخادم ويدفع بها من خــلال فتحة خلف العانس. صمت ثقيل.. يخيم على الكل. رجل علــى اعتــاب الســتين يتقدم من العانس.)

* * *

الرجل: سيدتي انا لست كاتبا ولا مؤلفا. انا صــاحب مطبعــة متواضعــة. ومنــذ الاعلان عن مشروعكم.. قبل شهر. لم يعد احد يتعامل معي، ولا.. يفكــر بمطبعتي.. و..

العانس: (مبتسمة) ومن يفكر بامتطاء السلحفاة في زمن مركبات الفضاء؟

الرجل: وما العمل يا سيدتي..؟ ماذا افعل.. كيف اعيش..

العانس: بعها.. ياسيدي..

الرجل: ابيعها؟ ومن يمتطي السلحفاة في السباق مع الزمن؟

العانس: نحن نفعل احياناً. اكراما لتراث الاباء والاجداد. وحفاظاً على الانتيكات من الانقراض.

الرجل: ها؟ (يفكر) لا. لا.. لا يمكنني التفريط بمورد رزقي الوحيد.

العانس: انت حر. تنح وافسح المجال لغيرك. (يدخل شخص يتخذ مكانه في الطابور. تنظر اليه باهتمام ثم تهمس للخادم) هو.. انه.. هو..

الخام: هو؟ من؟ من تقصدين؟

العانس: المواطن.. المواطن الذي فلت منك في المرة السابقة.

الخادم: (يتأمله) لا.. ليس هو.. فقد كان ذاك..

العانس: (تقاطعه) بل هو.. اوكد لك.. انه هو.. (تستعجل الناس) أسرعوا.. يا سادة. فقد تأخر الوقت (للخادم) هذه المرة..

الخادم: (يقاطعها) هذه المرة. تفلت روحي من بدني ولا يفلت هو من قبضتي.

العانس: ها هو يقترب تمعن فيه جيدا.. (تستلم منه الأوراق. تتركها جانبا.. بينما يخرج هو مع الخارجين يخرج الخادم آثره. تواصل العانس عملها. باستعجال. تمر فترة. يفرغ المكان. تنقض على الأوراق التي استلمتها من المواطن، تتصفحها. تخفت الأضواء، يظلم المسرح في الوقت الذي تصوخ مصعوقة) سوداء.. آه.. كل أوراقه سوداء.. ليس فيها حرف واحد...

* * *

(مكتب المدير، غرفة مؤثثة ببذخ. في الزاوية اليمنى فتحة. تتساقط منها بين الفينة والفينة، مجموعات من الأوراق والكتب والمخطوطات. يتناولها.. بضعة رجال.. يدفعونها في فتحة اخرى مواجهة للاولى. تغلب على حركاتهم وسيرهم الالية. وهم متواصلون في عملهم دون ان يتأثروا باحد او يؤثروا على احد).

* * *

المدير: (مشيرا الى الاوراق) لقد بدأت تشح مرة اخرى (العـــانس تنظــر حيــث يشير. صامتة) الا.. تقولين شيئا؟

العانس: في الواقع.. لا ادري.. انا.. انا.. الاخرى.. في.. في حيرة.

المدير: (بغلظة) ذلك لا يعني أنك قد عثرت على السر.. ناهيك عن الحل.

العانس: (مرتبكة)... ربما.. اقول.. ربما.. هي كل .. ما عندهم.

المدير: عندهم اضعاف اضعافها. انهم يخزنون منذ عشرات الســنين.. ان الســر يكمن في امر اخر تتجنبين ذكره.. وحتى الاقتراب منه..

العانس: او تشك في.. ولائي؟

المدير: لا. اطلاقا. فقط. اريد ان اقول انك الوجه المباشـــر للتعــامل معــهم.. وانك..

العانس: ولكنني وجه دميم (تتلمس وجهها بالم) على اية حال، ليس من الانصاف ان تحمل وجهي او شخصي وحده المسؤولية كلها. وتنسى نفسك...

المدير: نفسي؟ ما الذي تقصدين..

العانس: لقد حبستني في قالب من السلوك. خنق كل طاقاتي ومواهبــي واحــالني الى الة.. كل مهمتها تســلم المخطوطــات بابتســامة باهتــة.. تبــدو كالتكشيرة.. تنفر الناس اكثر مما تجذبهم؟.

المدير: آه.. هكذا اذن..؟

العانس: امل ان لا تكون صراحتي قد اغاضتك.

المدير: ها؟ لا.. لا.. على الاطلاق.. فانا..

العانس: يا سيدي لقد مات عندي كل احساس.. بأنني انثى. وان لدي انا الاخــرى اساليبي الانثوية الخاصة (المدير يكتم ضحكه) اعرف انه لم يعــد لــدي منها الكثير.. ولكن .. ما تبقى.. منها.. اجيد استخدامها.

المدير: لم اقصد.. ابدا.. ان.. (يفتح الباب. يقتحم الغرفة، رجل هلع في ملابس بستاني) المخبر؟ ما الذي جاء بك؟ ماذا وراءك.؟

المخبر: شـ.. شـ.. شاب .. سيد.. ي شاب.. عـ.. عند المدخنة.

العانس: المدخنة.. ويحك (تهجم على الشباك تفتحه. من بعيد وسط اشجار عالية كثة. تبدو مدخنة تطلق سحائب من الدخان) لا ارى احدا.

المخبر: (يقترب منها) لعل الدخان اخفاه (ثم) ذاك هو.. اترينه؟

العانس: (ترتد بخوف) يا الهي.. انه.. هو... هو بعينه.. هو.. المواطن..

المدير: مستحيل (ينظر) كل من يقع عليه نظرك.. تحسبينه.. المواطن..

العانس: لقد.. بدا.. لي.. لاول وهلة.. مثله.. مثله.. تماما..

المدير: لانك مذعورة. وذعرك هو الذي يجسد لك مخاوفك في هيئة.. شخص لم يعد.. له وجود (ثم) قد يكون وجوده هناك صدفة.

العانس: ومع هذا فوجود مدخنة وسط حديقة عامرة.. لابد ان يثيرالفضول.

المدير: (المخبر) عد إلى عملك.. واذ احسست باي شيء. اعطنا اشارة ولا تترك مكانك (ثم) اليس الجهاز.. معك؟

المخبر: معي يا سيدي. معي.. ولكن من شدة ارتباكي.. نسيته.. (يخرج)

المدير: (يذرع الغرفة باضطراب شديد. لا يستقر على حال) همم.. همم..

العانس: مابك؟.. اراك قلقا..

المدير: القلق، اللعنة. ذلك ما انا فيه بالضبط، اخشى ان يدفعه مرأى المدخنة إلى البحث عن سرها.. (حائرا لا يدري ماذا يفعل).

العانس: (بخوف) و.. نتركه.. يبحث ويسأل وينقب.. حتى يكشف السر؟

المدير: آه.. لا.. لا. بالتأكيد (يسحب اليه احد الخدم. يكلمه بالاشارات، ثم يعطيه كيسا) هنا.. ضعه هنا.. حيا.. حيا.. اريده حيا.. (الخادم يأخذ الكيس ويخرج).

العانس: حـــ.. حيا؟ ولماذا حيا.؟ ماذا تفعل به.. هـــ.. هـــ.. هنا؟(تضطرب)

المدير: لأعرف منه.. ان كان احد سواه.. يعرف بأمرها (ثم) ماذا بك؟

العانس: (مضطربة جدا) اخشى.. ان.. لا يظفر به.. و

المدير: لا.. اطمنني ضعي ثقتك.. في رجالنا..

العانس: (ساهمة) رجالنا.. ام.. آلاتنا..؟

المدير: الات.. الات.. ليكن. يكفي انهم موضع ثقتنا في وقت بات الواحد، لا يثـق حتى بنفسه اه.. ليت كل البشر الات.. بـــلا عواطـف ولا مشـــاعر ولا افكار.. اه.. ولا سيما الافكار.. انها احقر الجراثيم التي خلقها الله طـــرا.. ما دخلت مخلوقا الا وافسدته.. واحالته عدوا.. لنفسه عـــدوا.. لنفســه اولا.. ثم لمجتمعه.. وللكون كله. ولكي يكون الانسان نافعا حقا.. لا بـــد ان يفرغ من افكاره. ويتطهر منها.. او ان ينتعلها ويستجدي بها.

العانس: كما حدث لـــ.. لرجالنا.. (تشير اليهم).

المدير: وكما سيحدث.. لكل الرجال.. ناوليني.. كأسا، (تصب له يلقيها في جوفه) الا.. تشربين؟

العانس: لا.. لا اشعر حاليا.. بالحاجة الى الشراب (طرق علـــى البـــاب. تســرع باخفاء عدة الشراب. المدير يفتح الباب. يدخل رجل)

الرجل: (منحنيا يكاد يقبل الارض) بعد السلام والتجلة والاكرام (يستقيم) ســـــادتي ماذا دهاكم. رب العباد يرعاكم. ها قد انقضت الايام والشهور. وانا انتظـر ساعة الحبور. بنشر مصنفي المحبور. فمتى تتصدقون علـــيّ بالنشـــر. أبعدما يحل يوم النشر؟

المدير: معاذ الله يا شيخنا الجليل.. لقد عطلتنا بعض الامور الفنية...

الرجل: الفن؟ الا لعنة الله على الفن! واهل الفن هم اصل الشرور في كل الدهـور.

اللهم اسقط عليهم السماء. والق بهم في جهنم الظلماء.. اللهم..

المدير: (يغالب ضحكه) مهلا.. مولانا.. مهلا.

الرجل: (مندفعا) وكيف مهلا. وانا لا اجد لي اهلا؟ في زمرة الكفار حشرتني.. والى جهنم سقتني. لقد ظلمتني يا سيدي والله ظلمتني.

العانس: (تكتكم ضحكتها) اه.. كم رائع هذا الشيخ الجليل، في كلامه الجميل.

الرجل: (باسطا ذراعيه بوله) اه يا امة الله.. لو قلت العكس.. لكم ارتاحت لك النفس.

العانس: لك يا مولانا منطق بليغ. لا شك ان كتابك (تعجز عن ايجاد اللفظة المناسبة، فتكرر الكلمة نفسها) مثلك بليغ.

الرجل: اه يا امة الله كم تحسنين القول، انت الحرمة التي لا قوة لها ولا حول. لقد صنفت مخطوطتي في امر جلل. كي لا يثير السأم او الملل. اثبت بكل البراهين والاسانيد وجوب ان نكون لولاة الامر.. كالعبيد. يفعل بنا ما يريد. ونحن له من الشكر والحمد نزيد. اللهم يا معبودي العظيم، اشهد على مجهودك عبدك الذميم.

المدير: اشهد اللهم اشهد (اشارة للعانس فتناوله رزمة نقود، الرجل يتصنع الامتناع) خذه يا مولانا خذه ان هو الا مبلغ ضئيل ازاء جهدك الجليل.. وليتك تزيدنا من علمك الغزير.. فنزيدك من مالنا الحقير.

الرجل: كل مصنفاتي ستكون في طاعة اولياء الامور. الاناث منهم (يشير إلى العانس) والذكور. اللهم اعطنا العقل والرشاد. لنخدم ما عشنا سادة البلاد (يخرج)

المدير: بضعة اصوات من هذا القبيل يمكن ان تكون خير رسل لنا

العانس: على العكس. لم يعد احد يحفل، هذه الايام بهذه الاصوات التي تكاد

تنقرض.

المدير:(بسخرية مبطنة) لعلهم انصرفوا إلى الجنس

العانس: بالضبط يا سيدي.. بالضبط (تبرز صدرها وتتقدم نحوه؟؟؟)

المدير: (مخاطبا نفسه) في هذه الحالة ينبغي البحث عن انثى (اصوات من جيب.. سترته الداخلي. يصغي اليها باهتمام) لقد تم القبض عليه.

العانس: سيدي.. لقد .. لقد كنا نتحدث في امر اخر.. الانثى..

المدير: افتحي الباب. لقد وصلوا.

العانس: اه..(تفتح الباب.. يدخل الخادم حاملا كيسا. بداخله من يرفس ويطلق اصواتا مخنوقة. يتقدم منه المدير بفرح. بينما تتراجع العانس مرعوبة)

المدير: لم يخب قط ظني بكم.. هاته.. هاته (يفتح الكيس يرتد) من هذا؟ ماذا فعلت يا احمق.. انه المخبر.. تعالي خلصيه قبلما يموت.

الخادم: (اشارات خرساء بانه وحده من رآه. ولم يكن ثمة سواه)

المخبر: (لا يقوى على الوقوف. مقيد اليدين والرجلين مكمم الفم. معصوب العينين يفكون وثاقه) اه.. مـ.. اء.. مـ.. اء (العانس تأتيه بقدح ماء) اه.. اه.. اية قبضة. اية اصابع من حديد. ضربني على رأسي من الخلف ثم اطبق على خناقي ولم يدعني افتح فمي بكلمة.. آه. راسي. اما تزال رأسي فوق جذعي.. ام. ام. طيّرها.. بضربة قبضته الحديدية.

المدير: وهو.. هو.. ماذا حل به أين هو؟

المخبر: حين عدت. اتخذت مكاني قرب المدخنة. مختبئا في موضعي. فاذا بأحد. يطبق علي بيدين من فولاذ حركت رأسي فجاءتني ضربة هائلة حسبت ان رأسي تهشمت او طارت.. اما تزال رأسي في مكانها..؟

المدير: لتذهب رأسك إلى الجحيم.. أخبرني.. عنه.. هو.. هو..

المخبر: لم اره يا سيدي.. لم يدعني هذا السيد ارى احدا.

المدير: لا شك انه قد اختبأ في مكان ما بين الاشجار. (يضغط على الجرس. يدخل مجموعة رجال. سود من اثر الدخان والسخام) خذهـم.. انتشـروا فـي ارجاء الغابة كلها.. ولا تعودوا بدونه.. هيا.. هيا.. اسـرع (يخرجـون، للخادم الذي ظل واقفا. لا يعرف ماذا يفعل) احمق.. احمـق.. عـد إلـى عملك. (يعود الخادم إلى رفع المخطوطات ودفعها في الفتحـة المقابلـة) ناوليني كأسا. (تصب له. يشرب) كاد يقضي على الرجل المسكين.

العانس: (بنبرة خاصة) اما زالوا (تشير إلى الخادم) موضع ثقتك.. كل ثقتك..

المدير: ما دمت.. غير واجد... من هم افضل منهم (منتشيا) في صحة رجالنـا.. و.. صحتك (يفرغ كأسه) اما زلت غير راغبة في.. (يتوقف مصعوقا اثـر اقتحام شابة جميلة. منفعلة الغرفة عليهما).

الشابة: يا سادة.. قد تمزقت عن وجوهكم كل الاقنعة.

العانس: يا الهي.

المدير: (مذهولا) أ.. أ.. الاقنعة.. (يتلمس وجهه بصورة لا ارادية) أ.. أ.. ايـة.. اقنعة.. يا.. يا..

الشابة: الاقنعة التي اخفيتم خلفها وجوهكم البشعة.. ورحتم تمارسـون مختلـف انواع الغش والخداع.. والكذب..

العانس: (هامسا للمدير) يجب القضاء عليها فورا.

المدير: (يهمس) ليس الان.. اغلقي الابواب.. ودعي امرها لي.. نقف على مـن وراءها.

الشابة: اراكما قد هربتما إلى الهمس، بعدما صفعتكما الحقيقة.

المدير: (يتودد) ولكن ماذا في الامر.. لم كل هذه الثورة.. يا حلوتي الصغيرة.

الشابة: لست صغيرة، فقد غادرت الثامنة عشرة، منذ شهور.

المدير: فعلا. وانت الان امرأة ناضجة.. رائعة.

الشابة: كن اكثر دقة. فانا ما ازال شابة. سأغدو امرأة متى اقرر وارغب.

المدير: لقد استشففت المستقبل وتنبأت بما يستحق.. يا سيدتي.. الجميلة..

الشابة: بوسعك ان تكون لطيفا حتى وانت بهذه الصورة.

المدير: وسأكون اكثر لطفا.. لو اخبرتني عمن اوحي اليك.. بفكرة الاقنعة و..

الشابة: ولم يكون ثمة من يوحي الي بأفكاري؟ اتراني قاصرة؟. اليست لي عيون؟

المدير: بل انت كاملة مكتملة.. ولك عيون دونها عيون المها.. اهما عينان حقا.. ام نبعان صافيان لا قرار لغورهما.. آه .. دعيني .. يا حلوتي ارتو.. من مائهما الزلال. انا البدوي الذي لم تبلل شفتيه قطرة ماء.

الشابة: (تفتح عينيها تداعب رموشها، في حالة من التأثر) اوه.. سيدي اوه!

المدير: (مستمرا) انهما ربيعان دائما الخضرة وهذه الاهداب.. اه.. يا الهي. ينبغي ان يكون المرء حمارا او صخرا حتى لا تفتنه هذه السهام.

الشابة: (ترمش بدلال) اوه.. انت تبالغ في اطرائي.. يا سيدي.. (يداعب اناملها).

المدير: بل ان لساني، هذه القطعة الجامدة، من اللحم الميت.. يخونني.. يا ملاكي

الشابة: (تكاد تفقد سيطرتها على نفسها) اوه.. سيدي.. سيدي المدير.. مديري..

المدير: اه.. يا الهي.. أين انا، هل انا فوق الارض اسمع صوتا ادميا.. ام انا احلق في السماء، اسبح في فضاء الالحان والانغام الملائكية.

الشابة: (في غاية التأثر) اوه.. يا سيدي.. اوه.. سيدي ارجوك.

المدير: ولكن.. ياحوريتي التي صوتها موسيقى.. يا ملاكي التي كلماتها سجع الحمام.. قد سقطت من شفتيك كلمة. خشنة متنافرة الحروف. كأرجل

حصان اعرج. نابية على السمع كنغمة نشاز.. في سمفونية رائعة الانسجام.

الشابة: سيدي.. لا اتذكر.. اية كلمة.. لا اتذكر حتى نفسي.. انت انسيتني وجودي كله.

العانس: اذكرك يا شابة.. الاقنعة.. من علمك اياها.

الشابة: لا احد. وحق لحظات الصدق التي احياها الان.. لا احد. تسلقت طرف لساني.. من تلقاء نفسها.. فقذفتها.. بلا وعي.. ولا قصد.. فقط لكي استعجلكم طبع رسائلي الخاصة.. التي ضمنتها كل عواطفي و..

المدير: (يتبادل نظرات الدهشة مع العانس) فقط؟

الشابة: وحقك سيدي الكريم. اذْ حسبت انكم اهملتموها. ولكن بعدما استمعت بكل كياني إلى صداها ترجعها اعماقك تاكدت انها كانت موضع اهتمامك و..

المدير: بل موضع عشقي وهيامي. ولست الوحيد الذي توله بها وانما كل من اطلع عليها. انظري (يعطي اشارة فيخرج شاب في غاية الوسامة والقوة يحتضن مجموعة اوراق بشغف ويقبلها بادب جم ينحني للشابة ويدعوها إلى الداخل فتتبعه مسحورة غائبة عن الوعي. المدير يطلق ضحكة) بالونة، مجرد بالونة منتفخة بفقاعات الغضب والتحدي وحتى الثورة.. ثم (اشارة نغز) نغزة صغيرة.. وفش ش.. ش.. ولا شيء. كلهن على هذه الشاكلة.

العانس: كلهن؟

المدير: كلهن وكلهم. واذا كان ثمة اختلاف ففي نوع الإبرة المناسبة لكل حالة حسب.

العانس: (كمن تخاطب نفسها) وحدي وحدي انتفخ وانتفخ وما من ابرة ولا حتى

شوكة (تصب كأسا وتشربه) اه.. يا الهي. إلى متى؟ إلى متى؟

المدير: (يندفع نحو الباب، اثر اصوات يطلقها جهازه) لقد جاءوا به (يفتح الباب يدخل المخبر. يتبعه احد الخدم حاملا الكيس مبتهجا) و.. اخيرا..

المخبر: عرفته اول ما وقع عليه نظري بالرغم من انه تنكر في هيئة تخدع.. حتى الشيطان (يفتح الكيس) وحين رآنا اطلق ساقيه للريح. ولكننا احطنا به احاطة الخاتم بالاصبع، وهذا هو.. انظر سيدي.. او.. دعني اعيده إلى حالته الاولى.. اه بأية سرعة غيرت ملابسك. والصقت على وجهك هذه اللحية (نتف لحيته) لن تخدعني بلحيتك الكاذبة هذه.

صوت: (من داخل الكيس) اخ اخ الرحمة.. ارحموني يرحمكم الله اخ. اخ..

المخبر: ما هذا اصطبغت أناملي بما يشبه الدم.. اهي خديعة اخرى يا وغد.

المدير: تنح يا هذا.. ودعني اره (يصرخ) يا حمار.. انه.. صاحبنا الذي..

المخبر: مستحيل، فقط دعني ازل لحيته. لقد الصقها بمادة قوية.. يا سيدي.

المدير: اغرب عن وجهي يا احمق (للخادم) وانت الآخر.. يا غبي (يخرجان) ماذا فعلتما بالرجل الطيب. سيدنا الجليل نحن في غاية الاسف.

العانس: الخير فيما وقع.. الخير فيما وقع.. دعني اضمد له جراحه (تعالجه)

الرجل: اخ.. اخ.. اهذا ما يجري.. لاخلص عبد من عبيدك.. يا سيدي؟ تنتف لحيتي وتهان كرامتي.. اخ.. و.. تسرق نقودي. كل نقودي.

المدير: اما نقودك فسترجع لك اضعافا مضاعفة. ولكن ما الذي اوقعك في ايديهم.

الرجل: حظي. حظي الاسود. بلغ عمري السبعين ولم اقبض على مبلغ كالذي تكرمت به علي. فخفت عليه اللصوص وقطاع الطرق. وقلت لأطرق طريقا غير مطروقة. سلكت طريق الغابة. ولم اسر الا بضع خطوات حتى انتصب امامي مجموعة رجال سود. كأنهم زبانية جهنم. ضربوني

وسرقوا نقودي و..

العانس: (تناوله رزمة) عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم..

الرجل: صدق اصدق القائلين.. عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه (يخرج) لك الحمد يا رب.. اولا وآخر.

المدير: فشل آخر، اما من سبيل لاقتناصه. اكاد اجن.. ساعديني قولي شيئا.

(طرق على الباب تهرع اليه العانس ولكن ما تكاد تفتحه حتى تغلقه)

العانس: (باضطراب) انه.. هو سيدي.. انه هو..!.. المواطن..

المدير: (مندفعا) وتغلقين الباب بوجهه؟ اما تقدرين عاقبة ما تفعلين (يفتحه)

المواطن: ما هذا؟ كيف تغلق الباب بوجهي، اليس من حقي. مراجعة مؤسسة رسمية في يوم مخصص اصلا للمراجعات والشكاوي والاعتراضات؟

المدير: (يتماسك) من حقك ايها السيد. من حقك تماما، وارجو ان تعذرها.. فانها مرهقة ومتوترة بعض الشيء. بسبب هذه الاكداس من الاوراق (متوددا اليه) ولكن فيما يخص مخطوطتك لا تحمل أي هم. فقد قدمتها على سائر المخطوطات. لما تلمست فيها من ملامح العبقرية (المواطن ينظر اليه بدهشة واستغراب) انها.. انها.. حقا.. فنبلة الموسم (المواطن يضحك) ما الذي يضحكك.. يا سيد..؟

المواطن: اطراؤك!

المدير: وهل الاطراء يثير الضحك.

المواطن: لا احسبه يثير البكاء على اية حال (ثم)، لا شك انك تقصد شخصا اخر فانا لم اتك بشأن مخطوطه.. او ما شابه.. لقد جئت بسبب الغول المنتصب وسط الحديقة الذي ينفث سمومه حارقا الخضرة والحياة..

المدير: الغول؟ أي غول؟

المواطن: المدخنة. اذهب بنفسك لترى أي ليل خـــانق تفرشـــه ادخنتـــها فـــوق الزهور.. والاشجار.

المدير: ما شأنك انت؟ ومن تكون..

المواطن: حين يتعلق الامر بالمصلحة العامة يكون لكل مواطن شأن فيه. ثم انـــي معلم في روضة الاطفال التي اقيمت المدخنة على مقربة منها. أي حـــزن اسود سيلف ارواحهم الغضة حين يعـــودون بعـــد ايـــام إلـــى مقـــاعدهم وملاعبهم ولا يلقون غير الازهار الميتة والميـــاه الملوثـــة والعصـــافير المحترقة.

المدير: صحيح.. (ثم فجأة) وما الذي يحملك على الاعتقاد.. بان لنا يـــدا، وحتـــى معرفة بوجودها.؟

المواطن: لم اعتقد ذلك اطلاقا. بل اعتقد ان لا علم لكم بهذه المأســـاة.. المريعـــة التي تقع على مقربة منكم، والا لبادرتم إلى منعها.

المدير: ا.. بالتاكيد.. بالتأكيد..

المواطن: ولهذا السبب جئت اليكم باعتباركم الجهة الموكولة اليها رعاية الفنـــون والثقافة والطفولة.. حسبما تؤكد اعلاناتكم، قبلما افكر باي عمل.

المدير: ماذا بوسعك ان تفعل انت واطفالك.

المواطن: (بحدة) الكثير ايها السيد الكثير. اقل ما يمكننا فعله، تهديمها فـــوق رأس من بناها (يخرج صافقا الباب بقوة).

العانس: (تجفل) من يحسب نفسه هذا الصعلوك. ممن يستمد قوته؟ من اطفالـــه؟ اطفال الروضة الرضع؟ وملابسهم الداخلية المبلولة؟

المدير: (باستهانة بالغة) بالونة اخرى... منتفخة بفقاعات من نوع اخر. (يصـــب قد حين) اشربي (يشربان) تخرج الشابة وهي فـــي حالـــة شـــديدة مـــن

الانكسار، تتعثر في مشيتها كمن تنوء تحت ثقل مشـــاعر شـــتى.المديـــر يطلق ضحكة، لقد فرغت البالونة، سفحت كل غضبها (يعترض طريقـــها، مداعبا) صغيرتي.. صغيرتي الحلوة.

الشابة: (تقف قبالته، منتكسة الراس.دامعة العين. ثم لا تلبث ان تنتصب، تقذفــه.. ببصقة وتعدو الى الخارج)

العانس: (باحساس بالتشفي) اه.. يبدو انها امتلأت اكثر من ذي قبل.

المدير: ستفجرها ابرة اخرى.. من نوع اخر (يفرغ كاسه فـــي جوفـــه) هـــاتي المزيد (يقدم لها الكأس يدير ظهره للجمهور.. يـــنزع شـــعره المســـتعار وينزع عن وجهه القناع. بينما تنصرف العانس الى ملء القدحين. وقبلما تتاح للمشاهدين رؤية وجهه، يهبط الظلام... على المسرح بسرعة)

* * *

(العانس تخرج من غرفة المدير. يخف بها فرح خاص حاملة مجموعة من الاوراق تتوجه نحو الغرفة العجوز. تطرق الباب. تخرج العجوز. تنطلق بخـــوف وريبة.)

* * *

العانس: تعالي.. تعالي.. ساعديني.

العجوز: و.. والمدير.(تتلفت هنا وهناك) اين المدير؟

العانس: اقنعته بعد جهد جهيد بضرورة المشاركة في تشييع اطفـــال الروضـــة.. الذين اصر ذووهم على اقامة جنازة رمزيـــة.. لـــهم.. (تناولـــها بعـــض

الاوراق) الصقيها.. متباعدة.. ولكن منخفضة.. بمستوى نظر الداخليـــن (نشرع بالصاق ما تبقى عندها على الجدران انـــها شـعارات وعبـارات مصاغة بلغة عادية ومكتوبة بخط. رديء.. من قبيل "اذا كان الكلام مـــن فضة فالسكوت من ذهب" السكوت. الســـكوت "مـن كـثر كلامـه قـل احترامه.. الخ.. الخ.)

العجوز: (وهي تواصل عملها)) و.. ورجاله.. اعني.. اعني.. الخدم.

العانس: (مواصلة عملها) ارسلتهم لحراسة المدخنة. ومنع الاقتراب منها. ريثمـا يتم نقلها.. خارج المدينة.

العجوز: (اتقرأ احد الملصقات) اللسان.. مقتل الانسان. فعلا وقـــد كـاد لسـاني يقتلني.. لولا ان تشفعت لي عنده، وابدل حكمه.. باقامة اجبارية في تلـك الغرفة.. ارى واسمع.. ولا انطق.. اه من كان يتصور.. ان يستحيل ذلـك الولد الودود نلذي كان يخجل من ظله.. إلى هذا الكائن الغريب..

العانس: لننسى كل ذلك. انا اليوم للمرة الاولى اشعر بالحرية.. بامتلاء كل كيـاني بنفسي، بعدما انحسر وجوده الذي يسد مسامات جســمي، اشـعر بـاني ساطير من الفرح (تستمر في عملها الذي يستحيل إلى ما يشبه الرقص)

العجوز: من كل قلبي اصلي الا يعود سريعا. فيكسر اجنحة فرحك.

العانس: لن يعود قبل انقضاء النهار. فثمة مراسـيم التشـييع والدفـن الوهمـي والصلوات.. وطقوس مجالس الفاتحة.. واذ يعود اكـــون قـد مارسـت وبطريقتي الخاصة، كل ما اشتهي، واشبعت كـل شـعرة فـي جســمي، وحققت وجودي.. ولو.. ليوم واحد.. واحد حسب. (تجلس إلى مكتبـــها) انظري من الشباك، هل تجمع منهم خلق كثير (تخـــرج مراتـــها وادوات زينتها وتشرع بوضع المكياج وتصفيف شعرها.. واكمال زينتها)

العجوز: قلائل.. يتقاطرون من هنا وهناك.

العانس: احسن! ايلغون ويثرثرون.؟

العجوز: كأن على رؤوسهم الطير. عدا شابا.. يجول بينهم بقلق.. و..

العانس: شاب اقلت ساب (تقفز إلى الشباك) أين هو.. اريني..

العجوز: ذاك هو، الا يبدو شبيها بذلك الذي يسمي نفسه.. المواطن.

العانس: بل.. هو.. هو بعينه (ترتجف) ذلك ما لم يكن في الحساب..

العجوز: لا يمكن ان يكون نفسه فذاك قد.. اراك ترتجفين هل اطرده؟

العانس: ها؟ لا. لا. لن اقضي العمر كله هاربة منه.. مرتعدة امامه. وراغبة في الوقت نفسه. فيه، لابد من حسم الامر.. إلى.. إلى الابد.. افتحي الباب واذ يدخل هو علقي اللافتة التي تعلن انتهاء وقت العمل. (تعود إلى مكانها) راقبيه جيدا لا تدعيه يغب عن نظرك (يجلس.. تحاول ان تتماسك وتتغلب على اضطرابها).

العجوز: اللهم اعنها.. انها تسوق لنفسها إلى ما لايعرف عواقبه.. سواك.

العانس: (متماسكة إلى حد ما نستقبل الطابور الداخل بوجوم وصمت، وكلما هم احد منهم ان يتكلم.. تشير هي إلى احد الملصقات التي تأمره بالصمت فيضع هذه اوراقه امامها ويخرج من الباب الاخر بصمت. ثم فجأة وعلى غير توقع.. تنطلق في ثرثرة غريبة، مضطربة.. كشلال متدفق.. لا سبيل إلى ايقافه) اوه.. شكرا.. شكرا جزيلا لتعاونك معنا. ايام.. ايام حسب. وسوف تقطف ثمرة قريحتك ناضجة، طرية. لا. لا. لا تقلق كل شيء على ما يرام.. سيكون على ما يرام بفضل تعاونك الدائم معنا. بعد كل شيء كلنا بشر. معرضون للخطا والصواب.. فعذرا عذرا لكل تقصير غير مقصود (الناس ينظرون إلى بعضهم البعض بدهشة. يشيرون إلى

رؤوسهم والى العانس.. كأنها مجنونة بينما هي مستمرة كالغائبة عن نفسها) لا. لا.. ابدا.. ضع ثقتك فينا.. ثقتك كل راسمالنا ونحن اهل لثقتك.. العالم يتغير. الدنيا كلها في تغير.. ونحن ايضا قد تغيرنا.. ولم نعد كما كنا.. انا.. انا.. شخصيا قد تغيرت. تغيرت جذريا وبت مختلفة حتى عن المدير.. حتى عن نفسي.. لم لا.. لكل اسلوبه لكل طريقته في التعامل مع الناس.. في النظر الى الاشياء اليس كذلك؟. والمهم الجوهر.. المهم الهدف. سر انت من هناك.. وانا اسير من هنا وما دمنا نلتقي في النهاية.. فما الضير؟ما الضير ايها السيد؟ ما الضير ايتها السيدة؟.. ها. ها. ما الضير؟ المدير.. مدير.. في وجوده. وفي غيابه الذي ارجو ان يطول انا المدير انا كل شيء هنا انا اقرر ما اريد.. والغي ما اريد.. تعاون معي.. معي.. (العجوز تحاول اسكاتها. ولكنها سادرة كالمنومة مغناطيسيا). هيا.. يا اخوات يا اصدقاء.. (يدخل المواطن. فتسرع العجوز باغلاق باب الدخول) ثم.. لماذا ترونني عاجزة عن تحقيق الهدف.. هدفكم وهدفي انا.. انا..

العجوز: (تقترب منها. تهزها) الصالة فرغت. الناس خرجوا. خرجوا جميعهم.

العانس: (كمن تستيقظ من سبات طويل) ها.. ها.. (تجحظ عيناها في تصالب)

العجوز: (تخضها) الشاب. الشاب. المواطن..هنا.

العانس: هـ هـ.. هنا.. و.. ماء.. ماء. (العجوز ترش على وجهها الماء ترقب المواطن الذي يتأمل الجدران بذهول. يقترب من الملصقات يقرأها بصمت.. واضح انه يعاني من الضعف في النظر، يهز رأسه باستغراب)

العجوز: (باستهانة) اهذا الذي..

العانس: (تصب لها قدحا تلقيه في جوفها بسرعة) دعيني.. وحدي.. معه..

(العجوز. تمتنع) اذهبي، ارجوك، اذهبي، انه شـــأني.. شـــأني وحـــدي

(العجوز تتوجه إلى غرفتها. غير مقتنعة مترددة.. تعود اليها..)

العجوز: ابنتي انا.. مدينة لك بحياتي.. دعيني اساعدك.. اتحمل أي شـــيء مـــن اجلك.. ارجوك... اتوسل اليك..

العانس: (بصرامة) دعيني وحدي معه. ذلك كل ما اطلبه وارجوه (تدخل غرفتـــها تصب قدحا اخر تشرب) هيه.. هيه.. انت.. ايها المواطن.

المواطن: (خارجا من ذهوله) أ.. أ.. أنا.. انا؟

العانس: وهل ثمة سواك؟ كلهم انهوا ما جاءوا من اجله وخرجوا.. الا انت، لماذا تحدق بي على هذا النحو؟ الم يسبق لك ان رأيت فتاة.. (يحاول ان يتكلـم تسكته) كل يوم لك زيارة تفترسني بنظراتك الشرهة.. وتعـود ادراجـك. كأن احدا لم يرك. ماذا تبغي؟ لماذا لا تصفح عما في نفسك؟

المواطن: و.. و.. ماذا في نفسي.. عدا.. عدا (يلوح باوراقه في ارتباك شديد)

العانس: لا.. لا.. تنتحل اعذار وان كان لا بد فابحث عن عذر معقول (تســـكته) و.. كفى.. كفى.. فانت لا تختلف عن سواك. تتكاثرون على تكاثر الذبـاب على صفيحه عسل مكشوفة منتحلين اعذارا شتى بيد اني اعرف الدافـــع الحقيقي. اقرأه في عيونكم فانها اكثر جرأة وصراحة من الســـنتكم التـــي يعقدها الجبن المغلف بالخجل المصطنع الكاذب.

المواطن: ارجوك.. انا لا اسمح.. لك ان..

العانس: اسكت اسكت حمرة وجنتيك تكذب كل ما تنوي قوله. ربما تكـــون اديبـــا عظيما. او شاعرا خلاقا ولكنك.. في نظري لست سوى مراهـق.. مراهـق نهم. وكلكم.. من الطينة نفسها تمثلون دور الرجل الـــهائم فـــي فضاءات الكلمة والابداع المحلق مع النجوم قدماه لا تمسان الارض.. ولا

يهبط قط من سماء الوحي والالهام والخلق.. بينما لستم في واقع امركـــم سوى فئة شبقة.. تسوقها غرائزها.

المواطن: (محتجا) اسمعي يا..

العانس: صمتا.. صمتا.. نيران انفاسك الملتهبة تلفحني.. تحرقني، جبينك ينضـــح رغبة واشتهاء. عيونك تنتحر جوعا كعيون ذئب شرس. تجردنـــــي مـــن ملابسي.. قطعة.. قطعة.. قل لي.. هل وجدت مبتغاك.

المواطن: م.. م.. مبتغاي..؟ و.. ماذا تقصدين.

العانس: اقصد هل وجدت جسد امرأة شهية.. لتنحر فوقه او تحته ليلة من ليـــاليك ام ستطلق العنان لخيالك الجامح.. ليخلق لك البديل؟ ماذا بك.. اراك مثـــل صبي مراهق.. قبلته على مرأى من ابويه غانية لعوب.. لا.. لا تتصنــــع الخجل.. او.. او لا تبالغ فيه على الاقل فليست عذراء.. افتضـــــوا لـــها بكارتها امام جمع من الناس.

المواطن: (يخفي وجهه بكفيه، خجلا واشمئزازا) فظيع، فظيع..

العانس: فظيع، بالضبط تلك هي الكلمة المناسبة.. لوصف حالك. ولما يعتمل فـــي داخلك الهائج المائج. هل اعطيك مرآه لترى نفسك ولكن قبل ذلـــــك.. الا تسترد عيونك الشبقة من جولاتها فـــوق جســـدي.. ومداعبـــة مناطقـــه الحساسة اوه افعل ارجوك فقد.. جالت وداعبت وحرثت بما فيه الكفايــــة. او.. لا. لا. تمهل لعلك لم ترتو جيدا يقينـــــا انـــت احـــد المحروميـــن او المنفيين من دنيا الانثى ممن لا يحققون لذاتهم الا في اوهام المخادع.

المواطن: اه. لا. لا. هذا.. لا يطاق (يستدير ليهرب فيجد الابـــواب مغلقـــة) مـــا هذا..؟

العانس: قرأت افكارك.. فحققت لك رغبتك قبلما تفصح عنها واغلقـــــت الابـــواب

والنوافذ ماذا دهاك؟ انت تتلوى كمن اصابه الصرع؟ اه.. بالقوة وعنـــف غرائزك التي زادهما الكبت والحرمان. قوة وعنفا.

المواطن: سيدتي آ.. آ.. نستي.. الواقع.. لا ادري.. حتى.. أي شيء.. انت.

العانس: لابد ان اكون احداهما. فمن غير الممكن ان اكون كليتهما في ان واحد.

المواطن: كوني.. ما تكونين.. فقط.. افتحي الباب ودعيني اخرج.. ارجوك.

العانس: يهمني ان اكون التي تريدها انت. ايهما تفضل السيدة الناضجة الممتلئــة تجربة وخبرة ام الانسة الساذجة التي تغرقك فـــي بحــر مــن الاهــات والتأوهات قبلما تلمسها. كن صادقا.. او.. او دعني اقــرأ رغبتــك مــن خلال نظرتك. آه.. كم اعشق نظراتك الخجول هذه انها تملؤني احساســا باني اعرفك منذ.. منذ.. الم نلتق في مكان ما..

المواطن: ابدا.. لم يسبق لي.. قط ان..

العانس: يكفي للمرأة ان تعرف رجلا واحدا، حتى تكون قد عرفت الرجال جميعــا، (بخبث واستفزاز) ام.. ام.. لست رجلا..

المواطن: لست رجلا.. انا.. لست رجلا؟

العانس: لا تغضب يا سيدي فانت رجل.. رجل حقيقي. ولهذا اقول انني اعرفــك. فانا خبيرة بالرجال الحقيقيين ابتداء من انسان نياندرتال الذي لــم تحــظ باللقاء به. جدتي المأسوف على شبابها حواء، الى الرجل الســـوبرمان، الذي لا يزال مجرد فكرة. لم يفكر الرب بتحقيقها حتى الان، ومـــن هنــا يمكنني ان اصرف النظر عنك، فانت، في النهاية لست الا نسخة مكــررة منهم يا عزيزي.

المواطن: انا لست منهم اطلاقا.. لست من الذين..

العانس: بل انت منهم ولا تختلف عنهم بشيء ولكنك تنفي ذلك لكي تحملني علــى

خوض التجربة التي تحلم بها.. وتمنى بها نفسك.

المواطن: لا.. لا.. هذه اهانة.. اهانة لي ولـــ..

العانس: اهانة؟ (تقهقهة) يا لك من ابليس خارق الذكاء والمكر اعترف باني قـــد هزمت. ولكي تمحو الاهانة التي الحقتها بك ستدعوني إلـــى مبـــارزتك. وبالتاكيد لن تكون بالسيف او المسدس. فقد ولى زمن هذا النـــوع مـــن المبارزات ولم يعد يثير سوى الرثاء والضحك. وانما مبـــارزة بطريقـة اخرى مشبعة بروح العصر في غرفة مغلقة.

معطرة بلا شهود وبلا ملابس وانت شاهر سيفك كفارس مـــن فرســـان الاحـــلام والاساطير.. فاسقط على ظهري معلنة استسلامي مستعدة للموت.. تحـت طعنات سيفك الجبار..

المواطن: اية مذلة اية اهانة.. يا الهي.. انقذني..

العانس: (تحاول معانقته) اهانة.. مذلة.. حقارة.. ان جبـــالا مـــن هـــذه الالفـــاظ والمشاعر والاحاسيس تنهار او ما تبدأ المبارزة تذوب ككتل مـــن الثلـــج الهش.. تسقط في بركان من الحمم.. صدقني.. صدقني.. صدقني..

المواطن: (يبعدها عنه بادب) انت تتمادين في اهانتي.

العانس: افهم شعورك جيدا واقدره حق قدره يا حبيبي ان احساسك بالاهانة يظـــل ينغز فيك. ولن يفارقك.. حتى.. حتى.. اه تعال.. ارجوك تعال.. (تلتصـــق به، يتألم لحالها بجهد للتخلص منها بشكل لا يجرحها بينما هـــي تســـتبد بها افكارها، فتتمادي اكثر) انت خجول.. ومتردد وهذا ما يرغبني فيـــك اكثر.. اه.. تعال تعال لا تعذبني.. لا تخذلني ارجوك.

المواطن: يا سيدتي.. ارجوك.. ارجوك..

العانس: (تلهث) انا التي ارجوك.. انا التي.. اتوسل اليك (تجره إلى الغرفة)

المواطن: (يدفعها) ما الذي تفعلين.. انا.. رجل متزوج.

العانس: (مصعوقة) متزوج؟

المواطن: ولدي اولاد.. وبنات.

العانس: اه.. (بصوت جاف) لماذا خدعتني اذن؟

المواطن: انا؟ هل تكلمت هل قلت شيئا.؟

العانس: تكلمت وقلت وطلبت كل ما فيك كان يتكلم ويطلب حد الصراخ والنباح

المواطن: بل افرطت في الوهم.. فاسستلبتك اوهامك؟

العانس: انت خلقت اوهامي. حركت جمرات مشاعري الخامدة. اشعلت احاسيسي المتجمدة.

المواطن: لم تكن لي يد فيما جرى.. وانا في غاية الاسف و..

العانس: و.. زوجتك؟ جميلة (يومىء ايجابا) اه.. و.. تحبها؟

المواطن: حد الاخلاص لها. حتى في الخيال

العانس: (بيأس) اذن لا سبيل (منفجرة) اه.. صحراء.. صحراء.. عشت صحراء.. واموت وانا صحراء. وحين توهمت بان الاله الرحيم وقد رأف بحالي وارسل إلى سحابة تبللني، تخفف من قسوة يبسي وجفافي. صفعتني حقيقة كونها مرسلة لارض اخرى. ارض دائمة الخضرة والعطاء. كي تزداد خضرة وعطاء.. واظل انا صحراء تحترق يبسا وجفافا ونيرانا.. اه.. ما اظلمك يارب.. ما اظلمك؟

المواطن: (في غاية التأثر والالم من اجلها) سيدتي انا..

العانس: (بوحشية) انت ماذا؟ تشفق علي؟ ترثي لحالي؟ تواسيني؟ اغرب عن وجهي يا هذا. اغرب قبلما امر بحرقك (تدفعه بقوة إلى غرفة المدير) قدم اوراقك له وانتظره ريثما يعود، سيبتهج بك كثيرا، لما سببته لي من

خيبة يا وحش. (تغلق الباب تتهالك على مقعدها) يا.. يـــا قـــاتل (تدخـل العجوز هلعة، تمسد على رأسها بحنان. دون ان ترفع راسها) رفـــض.. (العجوز تطلق اهه. تبقى العانس منكسة الراس) له زوجة.

العجوز: وما العجب؟

العانس: له اولاد وبنات.

العجوز: امر طبيعي.

العانس: (هائجة) ولكنه يموت في حبهم.. لا يخونهم حتـــى فـــي الخيـــال.. اه.. خمسة واربعون عاما واشواك الجفاف تفترشني من الداخل. والظما الـــى الحياة يخشبني.. وصحراء حياتي تتسع وتتسع. وسعادتي سراب والحـب سراب. كل شيء سراب. الا قبحي. الا حرماني.. لم تلمس جسدي انـــامل حنان. لم يحبني احد. اقبح رجل قابلته.. اجمل مني واكثر جاذبيـــة.. اه.. اه..

العجوز: في كل مخلوق قوة جذب. في كل انثى شيء مشتهى. حتى انت..

العانس: في لحظة من اشد لحظات اليأس راودني وهم كهذا. لعل الزمن قد خلـــف في بقايا انثى. ركام انثى.. فقلت لاشهر سلاحي الذي ينوء تحـــت صـــدأ السنين العجاف. فوجدته مهترئا. لا يصلـــح حتـــى حتـــى لـــهدم بيـــت عنكبوت.. اه.. ليتني لم افعل. فان الوهم بان لي سلاحا. انا الاخرى، كان يكسبني قدرا من التماسك اما الان فقد.. تحطم.. تلاشى.. اه. حتى حتـــى الوهم تحطم وتلاشى..

العجوز: أي ياس هذا.. يابنيتي.. اي ياس مدمر هذا.. تجـــاوزت الســـتين ومـــا انتابني ياس.. كهذا.. قط..

العانس: لانك حلوة. وانا دميمة. انت طرية وانا يابسة. انت امراة.. انثـــى. وانـــا

مسترجلة. بشرتك ناعمة رقيقة (تتلمس وجه العجوز) وانا جلدي متقرن. وجهي يغطيه الشعر. حتى الخيط اخذ يشكو منه، ولا يجدي معه. وغـــدا تفشل الامواس والشفرات.. في حصده وتنظيفه..

العجوز: بنيتي.. بنتي الحبيبة، رحمة بنفسك.. رحمة بي..

العانس: صوتك رقيق. هل انتبهت الى رقة صوتك وعذوبته. بينما صوتي خشـــن. ابح. كصوت مراهق بلغ لتوه سن الرشد (تخضها) جسدك ريان وجســدي جذع شجرة مقطوعة الجذور.. يجول فيها الدود.. لا الـــوم.. النـــاس اذ كانوا.. وما زالوا ينفرون مني..

العجوز: لا احد ينفر منك يا حبيبتي.. لا احد..

العانس: بل ينفرون.. ومع احساسي بنفورهم.. شرعت اقابلـــهم بنفـــور اشـــد.. معتقدة باني اتصرف وفق ما تفرضه على كرامتي كأنسان. ولـــم ادر الا مؤخرا. باني اتصرف وفق ما يفرضه علي مركب نقص رهيب. كامن في داخلي.. تزيده الايام والسنين تعقيدا وفظاعة اقفلت علي عواطفي. دفنـــت احاسيس. حتى غدوت عجوزا شمطاء. تثير القرف قبلما ابلـــغ الثلاثيـــن (ثم فجاة.. بنبرة غريبة) ولكن الاوان لم يفت يجب ان لا ادعـــه يفـــوت. مهما كان الثمن (بحشرجة) انه.. ما زال.. هنا..

العجوز: هـــ.. هـــ.. هذا.. هنا اين؟

العانس: اريده. من حق نفسي وعواطفي علي. ان لا ادع الدود يـــأكلني ان لا ادع الظمأ يخنقني. ان ارتوي.. قبلما تقضي علي مرارة الخيبة والفشل.

العجوز: (بدهشة) ولكن لماذا. لماذا هو بالذات ولا سيما بعدما..

العانس: لن تواتيني الجرأة ما حييت، ان اتعرى امام غيره.

العجوز: او.. تعريت (العانس تومي ايجابا) ولم تثيري أي احساس عنده؟

العانس: بلى (العجوز تترقب. بعد صمت) الاشمئزاز (العجوز تطلق اهة: اه) في البداية. كنت اهدف إلى الايقاع به. هذا الكائن الذي لا سبيل إلى اقتناصه، متحدية المدير الذي لاينى يتهمني بالفشل في كل شيء. ولكن خجله المفرط. والحوار المكشوف. وطول تحديقي به. كل ذلك اثار كوامن نفسي. التي حسبت ان الجفاف قد وادها. ان جفافا عمره خمسة واربعون عاما، كفيل بخنق الصبير.. ولكن ما اخفيه يبدو اقوى من الصبير.. (هائجة) هل سمعت بما هو اقوى من الصبير في مقاومة العطش والجوع.. والجفاف. (بحشرجة) كنت الهث وراء الامل الواهي الذي لاحت لي تباشيره في افق بعيد.. اجهد للامساك به.. كمن تحاول الامساك بشعاع الشمس في منتصف الليل.. اه.. لا شك اني كنت في غاية البشاعة. (متفجرة) هل جربت ذات يوم ان تنقطع بك اللذة وانت في منتصفها، معلقة من كل شعرة من شعراتك بين الموت والحياة..

العجوز: اعانك الله.. على طول معاناتك.. وشدة عذاباتك.

العانس: حان الوقت لوضع حد لها (تدخل الغرفة. بعد هنيهة) أين انت يا حبيبي.. ماذا حل بك؟ أين اختبات تعال الي.. تعال..

العجوز: (تلتصق بباب الغرفة الموارب.. تبتهل) يا رب اعنها.. انها لا تحتمل خيبة اخرى (طرق شديد على الباب الخارجي. تسرع بفتحه. يدخل المدير في حالة مزرية. ممزق الملابس. مدمى. بلا قناع. اصلع.. بشع) اه.. سيدي.. سيدي المدير.. ما الذي جرى..؟

المدير: (يغلق الباب وراءه بالمتراس) انتهينا قضي علينا.. انتهى كل شيء.

العجوز: كيف.. كيف؟ ماذا حدث؟ ماذا جرى؟.

المدير: (يبحث عن الشراب. يشرب) في التشييع جرى كل شيء على ما يرام.

كنت في المقدمة. محاطا بتقدير ذوي الموتى واحترامهم. وفجأة (يشرب ثانية) اقتحم الجمع شاب دون الثلاثين. وصرخ بهم اتعرفون من الذي هدم مبنى الروضة على رؤوس اطفالنا وابادهم جميعا.. انه نفس الشخص الذي يحرق كتبنا ومخطوطاتنا. انه.. هنا.. بيننا. وهجم علي كالنمر. مزق قناعي.. فهاج الجميع وراحوا يضربونني.. يركلونني. اسقطوني ارضا وداسوا علي بالاقدام (يشرب) اطلقت بضع طلقات.. اصاب بعضهم.. وتراجع الاخرون.. (يشرب).

العانس: (خارجة من الغرفة كالممسوسة) راح.. طار.. ليس له اثر..

المدير: (مفاجا بوجودها) انت هنا يا داعرة (يفرغ فيها مسدسه).

العجوز: ويحك ايها الشقي ماذا فعلت (تحتضنها.. وهي تتخبط بالدم)

المدير: هي التي دفعتني اليهم.. هي التي اجبرتني على..

العجوز: (تنحني فوقها) لم تكن تدري بالذي سيحدث. كانت تامل ان يخلو لها الجو بضع ساعات.. بضع ساعات حسب (ضرب على الباب)

المدير: (بهلع شديد) هم.. هم (يدفع بالكراسي خلف الباب) تحركي.. قومي. انهم يهدمون الحائط فوق رؤوسنا (العجوز تبقى ساكنة.. محتضنة العانس.. بلا حراك) اه.. الحائط.. ينهار.. اه.. لا.. لا.. (يركض هنا.. وهناك باحثا عن منفذ.. يسقط منهارا يدخل مجموعة شباب يبدون له من خلال عينيه الجاحظتين.. شبيهين.. بالمواطن).